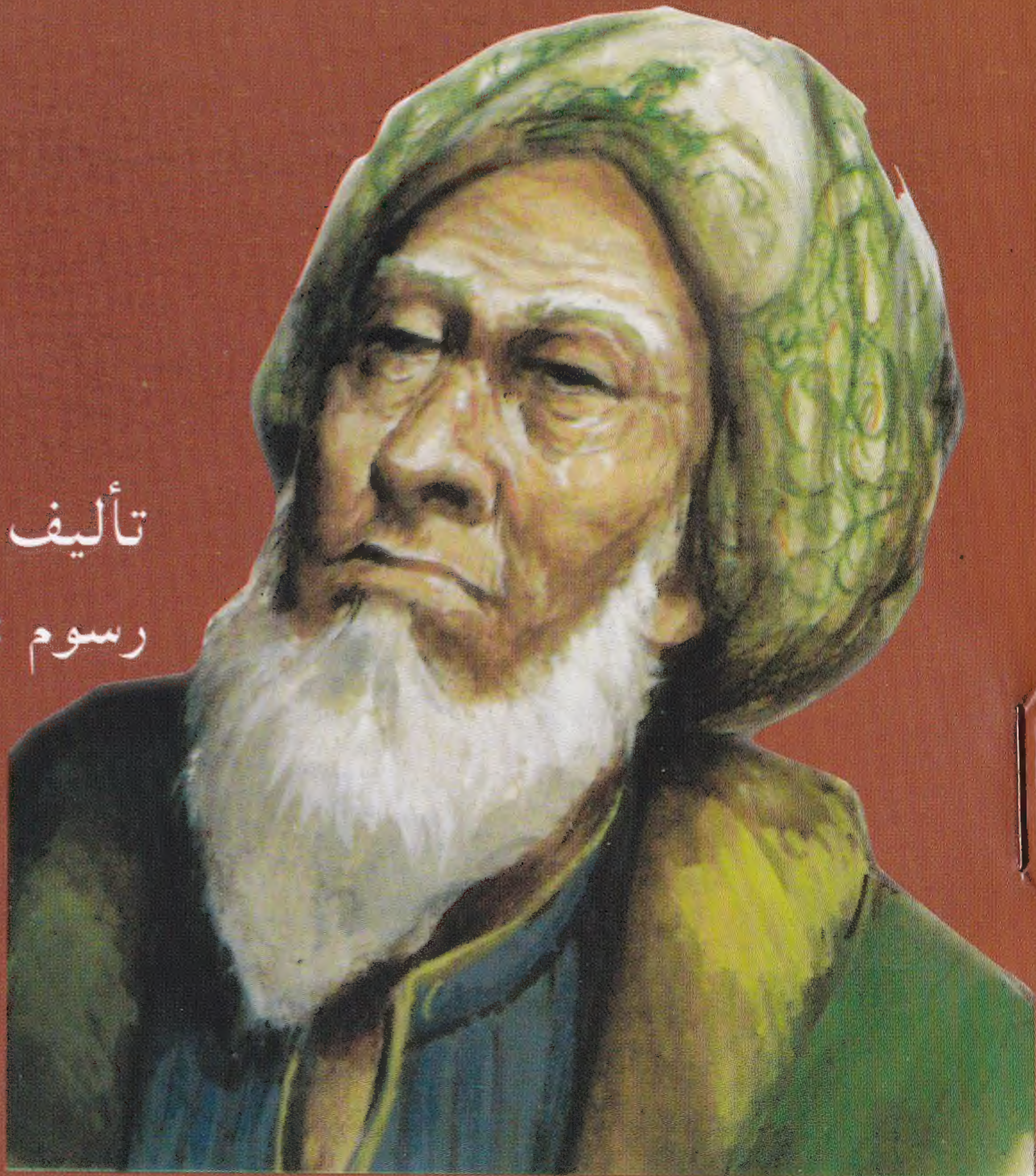


# ابن ملكا

## أبو علم الحركة

تأليف : سليمان فياض  
رسوم : اسماعيل دياب





علماء العرب

# ابن ملكا

أبو علم الحركة

تأليف : سليمان فياض

رسوم : اسماعيل دياب





## أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ شَمْسًا

طَوَالَ نَهَارِ يَوْمِ السَّبْتِ، لَمْ  
يُفَارِقِ الْابْتِسَامُ وَالضَّحِكُ  
الْمُتَقَطَّعُ وَجَهَ «عَلِيٍّ بْنِ مَلَكَا  
الْبَغْدَادِيِّ». كَانَ الْيَوْمُ يَوْمَ  
عُطْلَتِهِ الْأُسْبُوعِيَّةِ، وَقَدْ جَلَسَ  
فِي الشَّرْفَةِ، مُسْتَرَوِحًا نَسَمَاتِ  
الرَّبِيعِ، يَتَنَقَّلُ مِنْ مَقْعَدٍ إِلَى  
مَقْعَدٍ، نَاشِدًا ضَوْءَ الشَّمْسِ،  
وَحَرَارَتَهَا فِي رُكْنٍ بِالشَّرْفَةِ  
حِينَ، وَالظِّلَّ الرَّطْبِ، فِي رُكْنٍ  
سِوَاهُ، حِينَ آخَرَ. يَتَنَاوَلُ حِينَ  
مَشْرُوبًا بَارِدًا تَجْلِبُهُ لَهُ زَوْجَتُهُ،  
وَحِينَ مَشْرُوبًا سَاخِنًا. وَتَرْقُبُ

فِي دَهْشَةٍ وَجَهَ زَوْجِهَا «عَلِيٍّ» مَبْتَسِمًا، وَضَاحِكًا، دُونَ أَنْ تَسْأَلَهُ عَنِ  
السَّبَبِ. وَمَعَ وَقْتِ الْعَصْرِ، جَاءَتِ الزَّوْجَةُ وَجَلَسَتْ بِمُقَابِلِهِ، وَأَقْبَلَتْ خَادِمَةً  
تَحْمِلُ صَيْنِيَّةً عَلَيْهَا طَعَامُ الْغَدَاءِ، وَضَعَتْهَا بَيْنَهُمَا عَلَى الْمِنْضَدَةِ.

الكتاب: ابن ملكا

سلسلة علماء العرب

المؤلف: سليمان فياض

تصميم الغلاف: بديعة ميدان

الناشر: منشورات ANEP

50، شارع خليفة بوخالفة - الجزائر

الهاتف/فاكس: 213 21 23 89 61 / 213 21 23 64 85

الهاتف: 213 21 23 89 16 / 213 21 23 68 32

فاكس: 213 21 23 64 90

e-mail: editionsanep@yahoo.fr

الطبعة الأولى 2006

ISBN : 9947-21-279-3

Dépôt légal : 1699-2006

جميع الحقوق محفوظة لمركز الأهرام للترجمة والنشر



وذهبت الخادمة وعادت تحمل دُورَقًا به ماءً مثلجٌ وكُوبانِ زُجاجيان،  
وضعتُهما بجوار الصَّينِيَّةِ على المِنضدة. وقالت لها زوجة علي:

- اذهبي أنتِ، وكوني قَريبةً مِنَّا.

وانسحبت الخادمة، وكشفت زوجة علي غطاء الصَّينِيَّةِ عن طعام  
الغداء. كان طعامًا بسيطًا، نباتيًا كله بلا لحمٍ، ولا دُهْن، ولا لَبَن،  
خُضْرَوَاتٌ طازجةٌ، وفاكهةٌ ناضجةٌ وشُورْبَةٌ حَسَاءٍ عَصِرَ عَلَيْهَا اللَّيْمُونُ.  
وانتظرت أن يمدَّ زوجها يده إلى طعام الغداء، وكان زوجها شاردًا، وعَيْنَاهُ  
تَبْتَسِمَان. ونظرت إلى زوجها مستفهمةً، وكأنَّها تقولُ له: كُلْ، لكنَّها فوجئتُ  
بزوجها يضحك، ويفرق في الضَّحِك. هزَّت رَأْسَهَا مُسْتفهمةً، فقال لها  
وهو لا يزال يضحك:

- تَصَوَّرِي ماذا قال لي ابْنُنا «هبةُ الله» في الصَّبَّاح. لقد قال لي: أريدُ  
أن أكونَ شَمْسًا.

وسكتَ لحظةً، وقال وهو يمدُّ يده إلى طعامه، ويأكلُ:

- لَوْلَا أَنَّنِي أَعْرِفُ رَجَاحَةَ عَقْلِهِ، وفِطْنَتِهِ، لظننتُ أن به نَقْصًا

في عَقْلِهِ.

فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ بِاسْمَةٍ:

- كُلُّ أَوْلَادِنَا أَذْكَيَاءُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَعَلَى خُلُقِ قَوِيمٍ. لكنَّ ماذا كانت  
المناسبة التي قال لك فيها «هبةُ الله» إنه يريدُ أن يكونَ شَمْسًا.

فقال لها:

- كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْهُ، أن يستعدَّ للعملِ مَعِي في مَتَجَرِّ الصِّيَاغَةِ بِحَيِّ  
الرُّصَافَةِ بِبَغْدَاد، أو مَعَ أَخِيهِ في مَتَجَرِّنا الْآخِرِ بِالكَرْخِ، إذا لم يشَأْ أن يعبرَ  
الجِسْرَ مِنَ ضِفَّةِ نَهْرِ دِجْلَةِ الْغَرِيبَةِ، إلى الضِفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ. أتعرفين ماذا  
كان جوابه؟ لقد قال لي: أريدُ أن أكونَ شَمْسًا.

ولم يضحك علي في هذه المَرَّةِ، فَقَدْ بَدَأَ عَلَى وَجْهِهِ الْقَلَقُ، وقال:

- لَمْ أَرَهُ يَوْمًا يَذْهَبُ إِلَى مَعْبَدِنَا الْيَهُودِيِّ. أَتَظَنِّينَ أَنَّهُ يُرِيدُ أن يكونَ مِنَ  
عِبَادَةِ الشَّمْسِ. كَيْفَ وَقَدْ وَلَّتْ أَزْمَنَةُ عِبَادَةِ النَّاسِ لِلنُّجُومِ، وَالْكَوَاكِبِ،  
وَالْأَوْثَانِ؟

وفُوجِيَءَ الاثْنَانِ بِقُدُومِ ابْنِهِمَا «هبةُ الله»، فابْتَسَمَا لَهُ. وقالَ لَهُ أَبُوهُ  
علي:

- فَعَلْتَ خَيْرًا إِذْ جِئْتَ الْآنَ. اجْلِسْ وَكُلْ مَعَنَا.

وسحبَ «هبةُ الله» مَقْعَدًا، وجَلَسَ، ومَدَّ يده إلى الطَّعامِ وقالَ علي:



- خَبَّرَنِي يَا هِبَةُ اللَّهِ. مَاذَا أَرَدْتَ بِقَوْلِكَ لِي فِي الصَّبَاحِ: أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ شَمْسًا؟

## سَأَكُونُ عَالِمًا

رَاحَ هِبَةُ اللَّهِ يَأْكُلُ طَعَامَهُ، وَيَقُولُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ:

- مَا قَصِدْتُهُ يَا أَبِي، هُوَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَمَا الشَّمْسُ. الشَّمْسُ تُضِيءُ الدُّنْيَا بِنُورِهَا، وَتَدْفِئُهَا بِحَرَارَتِهَا، وَتَمْنَحُهَا الْحَيَاةَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ:

- بَلَى. لَكِنِّي لَمْ أَفْهَمْ.

فَقَالَ لَهُ هِبَةُ اللَّهِ:

- ذَلِكَ يَعْنِي يَا أَبِي أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ عَالِمًا كَبِيرًا، أُضِيءُ الدُّنْيَا بِالْمَعْرِفَةِ، مِثْلَ الْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ فِي بَغْدَادَ.

عِنْدَئِذٍ ضَحِكَ عَلِيٌّ مِنْ قَلْبِهِ، وَقَالَ:

- أَضَحَكْتَنِي يَا هِبَةُ اللَّهِ، وَأَقْلَقْتَنِي عَلَيْكَ.

وَتَوَقَّفَ عَلِيٌّ عَنِ الضَّحِكِ، وَقَالَ:

- فِي أَيِّ عِلْمٍ يَا بُنَيَّ تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ شَمْسًا؟

فَقَالَ لَهُ هِبَةُ اللَّهِ:

- فِي كُلِّ عِلْمٍ عَصَرْنَا. مِثْلَ ابْنِ سِينَا مِثْلًا. فَلَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ صَائِغًا مِثْلَكَ، وَلَا صَيْرَفِيًّا مِثْلَ عَمِّي.

بَدَأَ الْفَلَقُ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى وَجْهِ عَلِيٍّ وَقَالَ:

- ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَجُوعَ يَا بُنَيَّ، وَأَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَى الْخُلَفَاءِ وَالْأُمَرَاءِ لِتَتَالَ عَطَاءَهُمْ. وَإِنْ شَاءُوا أَعْطَوْا، وَإِنْ شَاءُوا مَنَعُوا، خَاصَّةً وَأَنْتَ يَا بُنَيَّ، لَسْتَ مُسْلِمًا.

فَقَالَ لَهُ هِبَةُ اللَّهِ:

- سَأَكُونُ أَيْضًا طَبِيبًا يَا أَبِي. فَلَا تَقْلُقْ عَلَيَّ فِي غَدِي. سَأُعَالِجُ الْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ فِي بَيْتِي، وَأَبْلُغُ مَرْتَبَةَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَطْبَاءِ فِي بِيْمَارِسْتَانِ (مُسْتَشْفَى) مِنْ بِيْمَارِسْتَانَاتِ بَغْدَادَ.

وَرَاحَ عَلِيٌّ يَفْكُرُ فِيمَا قَالَهُ هِبَةُ اللَّهِ، وَقَالَتْ الْأُمُّ لَهُبَةُ اللَّهِ:

- وَأَيْنَ كُنْتَ طَوَالَ النَّهَارِ يَا بُنَيَّ؟



## مَدِينَةُ كُلِّ الْأَدْيَانِ

طَوَالَ النَّهَارِ، كَانَ هِبَةُ اللَّهِ يَتَجَوَّلُ فِي بَغْدَادَ شَرْقِيَّ دِجْلَةَ وَغَرْبِيَّتِهَا، فِي الرُّصَافَةِ، وَفِي الْكَرْخِ، عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَكَأَنَّهُ يَكْتَشِفُ كُلَّ مَا يَرَاهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، فِي أَعْظَمِ مَدَنِ الدُّنْيَا فِي زَمَانِهِ. يُشَاهِدُ قُصُورَ الْخُلَفَاءِ، وَالْأُمَرَاءِ، وَالتُّجَّارِ الْكِبَارِ، وَالْمَسَاجِدَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْكُبْرَى وَالصُّغْرَى، وَالْمَدَارِسَ الْأُولِيَّةَ، وَالْمَدَارِسَ الْعُلْيَا، وَلَقَدْ انْتَبَهَ إِلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ يَحْدُثُ نَفْسَهُ، عِنْدَ «الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ» قَائِلًا لِنَفْسِهِ: «سَأَبْدَأُ بِكَ رِجْلَتِي إِلَى الشَّمْسِ». وَعِنْدَ الْبَيْمَارِسْتَانِ الْعَضْدِيِّ قَائِلًا لِنَفْسِهِ: «سَأَكُونُ وَاحِدًا مِنْ أَعْظَمِ أَطِبَائِكَ». ثُمَّ جَلَسَ فِي خَمِيلَةٍ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ، يَجْتَرُّ (يَسْتَعِيدُ) حُلْمَهُ، وَيَرَسِّمُ لَهَايَتِهِ الطَّرِيقَ. حَدَّثَ «هِبَةُ اللَّهِ» أَبُوهُ بِرَحْلَةِ يَوْمِهِ، وَحَدَّثَهُمَا عَنْ حُلْمِهِ، بَلْ حَلْمِيهِ مَعًا: «الْمَدْرَسَةُ النَّظَامِيَّةُ الْعُلْيَا»، وَ«الْبَيْرِمِسْتَانُ الْعَضْدِيُّ»، ثُمَّ قَالَ لِأَبُوهِ:

- لَا تَخَافَا، فَالْتَبَحَّرَا فِي الْعِلْمِ، سَيَجْعَلُ الْكُلُّ فِي الْمَدَائِنِ، وَالْقُصُورِ، وَالْأَكْوَاخِ، بِحَاجَةٍ إِلَيَّ. وَلَا تَنْسَيَا أَنْ بَيْنَ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ، وَغَيْرِهَا مِنْ مَدَائِنِ الْمُسْلِمِينَ، عُلَمَاءٌ مِنْ كُلِّ الْأَجْنَاسِ، وَكُلِّ الْأَدْيَانِ.

## لَا تَحْمِلْهُمَا

كَانَ الثَّلَاثَةُ قَدْ انْتَهَوْا مِنْ طَعَامِهِمْ. وَصَفَّقَتْ أُمُّ هِبَةَ اللَّهَ، فَأَقْبَلَتْ الْخَادِمَةُ وَرَفَعَتْ صَيْنِيَةَ الطَّعَامِ، وَذَهَبَتْ بِهَا، ثُمَّ عَادَتْ حَامِلَةً كُوبًا زُجَاجِيًّا لَهْبَةِ اللَّهِ، وَقَنِينَةً (زُجَاجَةً) بِهَا سَائِلُ الْجَوَارِشَنَاتِ (سَائِلُ مَهْضَمٍ لِلطَّعَامِ) وَوَضَعَتْهُمَا عَلَى الْمِنْضَدَةِ الْوَاطِئَةِ فِي سُكُونٍ، وَانْصَرَفَتْ. وَكَانَ «عَلِيٌّ» شَارِدًا يَفْكُرُ وَيَتَأَمَّلُ فِيمَا قَالَهُ لَهُ ابْنُهُ «هِبَةُ اللَّهِ»، وَيَبْحَثُ لَهُ عَنْ أَقْصَرِ الطَّرِيقِ كَيْ يَبْلُغَ «هِبَةَ اللَّهَ» غَايَتَهُ، لِيَكُونَ شَمْسًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الشُّمُوسِ. وَقَالَ عَلِيٌّ لِابْنِهِ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ بِأَنَّ ابْنَهُ، وَوَاحِدًا مِنْ قَوْمِهِ، سَيَكُونُ عَالِمًا كَبِيرًا، خَالِدَ الذِّكْرِ، فِي عَاصِمَةِ الدُّنْيَا وَمَدِينَةِ النُّورِ «بَغْدَادَ»:

- أَيُّ هِبَةُ اللَّهِ. عَمْرُكَ الْآنَ عَشْرُ سَنَوَاتٍ. وَأَمَامَكَ بِضْعُ سَنِينَ حَتَّى تَبْلُغَ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عَمْرِكَ، كَيْ يُسَمَّحَ لَكَ، بَعْدَ اخْتِبَارِ شَاقٍّ، بِدُخُولِ «الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ» كَطَالِبٍ بِهَا. هَلْ سَأَلْتَ أَحَدًا عَنْ الطَّرِيقِ الْعِلْمِيِّ إِلَى هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ؟



فقال له هبة الله:

- نعم. سألت. وأنا بحاجة إلى من يعلمني، إلى درجة الإتقان، أربع لغات: العربية، والسريانية، واليونانية، والفارسية، حتى أدرس علوم الأقدمين بلغاتها، وعلوم زماننا بالعربية، وأفادى أخطاء المترجمين في ترجمة علوم الأقدمين، وأقارن بين الأصول والترجمات لهذه الأصول. ونظر علي إلى ولده هبة الله بانبهار. أدرك أن ابنه يعرف طريقه وسوف يحقق حلمه الكبير، في أن يكون شمساً، ويخلد اسمه، واسم أبيه وجده معه. وعندئذ قال له:

- لا تحمل همًا لنفقات المعلمين والكتب يا هبة الله. ولك عندي كنية (صفة تبدأ بلفظ أبو، أو: ابن) ستحملها مع اسمك، عندما تجاز في المدرسة النظامية. متى يا بني؟ الله وحده يعلم.

## أبو البركات

عام خمسمائة الهجري، ألف ومائة وستة الميلادي، كان هبة الله قد بلغ من العمر عشرين سنة. حين اجتاز اختبارات العلماء له بالمدرسة النظامية، في أربع لغات، وفي علوم المنطق، والفلسفة، والرياضيات، والطبيعات. وفي حفل مهيب، حضره أساتذة هذه المدرسة، وطلابها ومثقفو بغداد، وعدد من الأمراء والأعيان، منح هبة الله عبدًا من الإجازات العلمية، في اللغات الأربع، والعلوم الأربعة: المنطق، والفلسفة، والطبيعات، والرياضيات. وحين بدأ الحفل ينفض، تقدم علي بن ملكا من ابنه وعانقه، وهنأه، وقال له:

- اليوم نلت فوزًا عظيمًا يا بني.

فقال له هبة الله:

- الفوز العظيم لم يأت بعد يا أبي. فغائتي الآن هي أن أكون طبيبًا مُعالجًا، وطبيبًا شهيرًا، واسع الثراء.

وسكت هبة الله لحظة، ثم قال لأبيه:



- ما الكُنية التي كنت تدخرها لي؟

عندئذ ضحك علي وقال:

- أبو البركات. أبو البركات يا هبة الله بن علي بن ملكا. هيا بنا نعود  
إلى البيت، فالليلة سيكون لك حديقة البيت احتفال آخر، يحضره صفوة  
حيناً في مدينة الكرخ.

### لذلك قصة

وأثناء الطريق، راح هبة الله يتذكر أحداث ما مضى من عمره. فقبل  
عام واحد اجتاحت السيول مدينة بغداد، وقبل خمسة أعوام، توفي  
الطبيب «أبو الحسين سعيد بن هبة الله ابن الحسين» شيخ الأطباء في  
البيمارستان العضدي، وشعر هبة الله بحزن شديد، تحدّرت معه الدموع  
من عينيه، ورأى «علي» الدموع تتساقط على خدي ولده، فتوقّف في  
الطريق، وقال:

- أهَي دُمُوعُ الفَرَحِ يَا أَبَا البركات؟

فقال له هبة الله، وهو يكفّف (يجفّف) دموعه:

- لا يا أبي، لكنني تذكرتُ أستاذًا لي، عزيزًا عليّ، هو: «هبة الله بن  
الحسين» فعلى يديه قرأتُ كتبَ الطيّبين اليونانيين: جالينوس، وأبقراط،  
وقرأتُ عليه كتابه: «المغني في الطب»، في البيمارستان العضدي، وقد  
ودعته وودّعنا قبل أن يجيزني في الطب.

فقال له أبوه بدهشة:

- في البيمارستان العضدي. كيف يا بني، وأنت لم تلتحق بعد  
بالبيمارستان العضدي.

فقال له هبة الله:

- لذلك قصة يا أبي، سوف أحكيها لك غدًا، مع الضحى، فقد قاربنا  
أن نصل إلى البيت.

### في الدهليز

مع الضحى، انفرد علي بن ملكا بابنه هبة الله، في بستان البيت.  
وانشغلت أمّه في الإشراف على الخادِمات لإزالة آثار حفل الليل، من  
البستان، ومن قاعة الضيافة. وقال هبة الله لأبيه:



- قبل تسعة أعوام يا أبي، وأنا أدرس اللغات، على معلمي، شغلني همُّ دراسة الطب، على يد شيخ الأطباء في بیمارستان العضدي. كان هذا الشيخ يعقد آخر كلِّ نهار مجلساً لطلاب الطب في بیمارستان، وكان وقت الفراغ طويلاً أمامي، بعد أن تنتهي دروس اللغات، ولم أكن قد التحقت بعد بالمدرسة النظامية. وقررت أن أذهب إلى بیمارستان. وأحضر دروسه كمستمع، مع طلاب الطب في بیمارستان.

وحين هممت بدخول قاعة الدرس، منعتني حاجب هبة الله ابن الحسين، وسألني عن ديني، فأخبرته أنني يهودي من أهل الكتاب، فقال لي: إن الأستاذ الذي تشده، لا يقبل أحداً من الطلاب في مجلسه إلا إذا كان مسلماً. وسكت هبة الله، وأبوه ينظر إليه، ثم قال:

- عندئذٍ نفحت (أعطيت) حاجب الطبيب ديناراً، فأشفق عليّ، وصحبني إلى دهليز أجلس فيه، وأسمع قراءة القارئ، وأسئلة السائلين، وأجوبة الطبيب. ظللت على هذه الحال، أجلس في الدهليز، أرى، ولا أرى، وأسمع ولا أحدث صوتاً أيّ صوت، وأحفظ في نفسي كلما أسمع، وفي يدي كتاب لجالينوس أولاً بقراط، مثل الذي يقرأ فيه أحد الطلاب. ومر عام يا أبي، حتى كان يوم لا أنساه. عجز كلُّ الطلاب، في بحث مسألة من





مسائل الطب لجالينوس، وكان حلها حاضراً في رأسي. ولم أدر بنفسي، إلا وأنا بداخل القاعة أمام شيخ الأطباء. قفزت من النافذة، إلى مجلس الشيخ، فبهت الحاضرون لحظة، وقبل أن يحدث أي رد فعل من أحد، قلت لشيخ الأطباء: يا سيدي، يا مولاي، أنا أعرف حل هذه المسألة، فقد تحدثت عنها «جالينوس» في كتاب آخر له، ورحت أذكر له ما قاله جالينوس في كتابه الآخر هذا.

وسكت هبة الله لحظة، استجمع فيها أنفاسه، ثم قال لأبيه:

- أعجب شيخ الأطباء بذكائي، على صغر سنّي، وحدثته عن قصتي في سماع دروسه بالدهليز، وعن ديني الذي حال بيني وبين الجلوس إليه كمستمع. وعندئذ قال شيخ الأطباء، بصدر رحب، ولا أنسى ما قاله لطلابه: من يكون بهذا الحرص في طلب العلم، وذلك الذكاء، لا نستحل أن نمنعه من العلم.

وابتسم هبة الله ابتسامة حزينة، وقال:

- وقبلني مستمعاً في مجلسه نحواً من ثلاثة أعوام، إلى أن ودّع الدنيا. يرحمه الله. كان دون الخامسة والخمسين من العمر. وكان ذا وجه صبوح، ولحية بيضاء، حسنة التهذيب.

## الحلم يتحقق

انتظم هبة الله طالباً في «البيمارستان العضدي»، يحضر دروس الأطباء والصيادلة، آخر النهار، ويصحب الأطباء المعالجين في جولاتهم أول النهار بين أسرة المرضى، في أقسام البيمارستان، ويشهد من قرب الجراحات التي يجريها الأطباء. وحين يعود إلى بيت أهله مع الليل، يعكف على قراءاته الحرة الأثيرة (المفضلة)، في كتب المنطق، والفلسفة، والإلهيات، والطبيعات، اليونانية، والفارسية، والعربية، والهندية.

وفي عامه الدراسي الأخير بالبيمارستان، سُمح له على سبيل التدريب، وتحت إشراف الأطباء، كل في تخصصه، بتشخيص الأمراض، ووصف الدواء وإجراء العمليات الجراحية الأولية. ولم يكد ذلك العام ينتهي، حتى منح هبة الله بن ملكا الإجازة في ممارسة الطب، ولتفوقه في التشخيص والعلاج، اختير هبة الله مع المختارين من زملائه النابهين، ليكون طبيباً بالبيمارستان العضدي، وهو شرف طبي لا يناله الكثيرون، وكان رئيس أطباء البيمارستان آنذاك هو هبة الله بن التلميذ. وصار هبة الله بن ملكا صديقاً لابن التلميذ، وصديقاً لصديق صديقه «هبة الله



البديع الإسطرلابي» صانع الأسطرلابات (آلة فلكية) الكبير، لمراسد بغداد والمدائن الإسلامية الأخرى، وكان هبة الله بن ملكا قد أتم عامه الخامس والعشرين.

وفي بغداد، تزوج أبو البركات هبة الله، واستأجر أبوه له ولزوجه دارين، أحدهما قريبة من السوق ومحلة (حي) اليهود بالكرخ، يسكنها هو وزوجه ويستقبل فيها الفقراء المرضى، الذين يأتون طلباً للعلاج، والأخرى في قلب الرصافة، وسط أحياء الأغنياء، وكانت داراً مخصصاً لعلاج الأغنياء من التجار والأعيان. وفي هاتين الدارين، كانت الأبواب مفتوحة للمرضى، في أوقات معلومة، عصر كل يوم في الكرخ، وصباح كل يوم في الرصافة. وحين يفرغ الناس من صلاة العشاء، كان تلاميذه المعجبون بنبوغه، يأتون إليه في داره، يحاورهم ويحاورونه في مسائل شتى من العلم. وفيما بين الصباح والعصر، كان هبة الله يزور المرضى في البيمارستان العضدي.

## كل نارنجة

وفي عيادة داره بالكرخ، جاء إليه رجل متوسط الحال من أهل السوق، يسأل سعالاً متقطعاً. وقال الساعل لهبة الله:

- لي أيام وأنا على هذه الحال. أسعل في الليل والنهار. ولم ينجح معي دواء.

فطلب هبة الله من الساعل أن يبصق في منديل، ويطوي المنديل على ما فيه. وجلس الرجل ينتظر، وهو يسأل سعالاً متقطعاً، وانشغل هبة الله عنه بمرضى سواه، وبعد ساعة فتح هبة الله منديل الساعل، فلم يره أثراً يذكر. وعندئذ سأل هبة الله مريضه، قال:

- أخبرني، ماذا أكلت في اليوم الذي سعلت فيه؟ حاول أن تتذكر.

فقال له الساعل بعد لحظة:

- تذكرت. أكلت نارنجة، أعجبتني طعمها اللاذع. وبعد ساعة ذهبت

إلى فراشي، وأخذت في السعال.



وأشار هبة الله، عبر نافذة الغرفة، إلى شجرة نارنج، وقال:

للسّاعِل:

- اذهب إلى شجرة النّارنج هذه، في بستان الدّار، وهات نارنجة وكلّها،

ثم عدّ إليّ في الغد.

وفي الغد، عاد السّاعِلُ عصراً إلى هبة الله، وهو لا يزال يسعل، وقال:

- يا أبا البركات. وصفت لي نارنجة، زادت في سُعالِي، وهي سببُ

بليّتي.

فقال له هبة الله ضاحكاً:

- اصبر يا رجل، اذهب وخذ نارنجة أخرى. وكلّها، وعدّ إليّ عصر غد.

وفي الغد التّالي، عاد السّاعِلُ إلى هبة الله، وهو لا يزال يسعل، وقال:

- يا سيّدي، لم يفارقتي السّعال، بل زاد عليّ واشتدّ.

فقال له هبة الله:

- لا تيأس، اذهب وكلّ نارنجة أخرى، وعدّ إليّ غداً.





## سر النارنجة

وفي الغد عاد الساعل إلى هبة الله، وقد توقف سعاله، والتمعت عيناه بسعادة، وبأن (ظهر) بشر السعادة على وجهه، وقال:

- شفيت والحمد لله، سعلت في الليل سعلة واحدة، أخرجت كل ما في صدري من بلغم، ونمت مستريحاً والحمد لله.

فقال له هبة الله:

- الحمد لله، واحذر. لا تأكل نارنجاً مرة أخرى، وادفع ما تقدر عليه من أجر العلاج، لمساعدتي خارج هذه الغرفة.

وإثر خروج الرجل، التفت هبة الله إلى تلميذه الملازم له «ابن الدهان» وقال له مفسراً علاجه للساعل:

- حين فتحت المنديل لم أر أثراً به، يُشير إلى أن بلغمه من الرئة، وقدرت إن ما به هو من أثر طعام ما بقصبة صدره، وأن أكله النارنج قد أثار ما على هذه القصبة من بلغم ملتصق، ولذلك أمرته بمعاودة أكل النارنج. وجلاً النارنج قصبة صدره سعلة بعد سعلة، ولو

أنه أكل النارنج مرة أخرى، بعد شفائه، لأصابته قصبة صدره قرحة، عسيرة العلاج.

## الدن سيقع

وفي غيابة هبة الله الطبيب بالكرخ، فوجيء هبة الله بدخول رجل تاجر، وبصحبته عدد من أعوانه، وبينهم كان شاب سليم الصحة، لكنه يرفع كفيه أعلى رأسه، كمن يسند شيئاً يحذر أن يقع، وهو يهذي مُردداً:

- ابتعدوا عني، ابتعدوا عني، الدن (وعاء من الخزف) سيقع، الدن سيقع.

وشاء هبة الله أن يختبر مدى وعي ذلك الشاب، فعبر به باباً منخفضاً يؤدي إلى غرفة أخرى، وراقب الشاب وهو يتقاصر بطوله، حتى لا يصطدم الدن الوهمي فوق رأسه، بأعلى الباب، وقال أبو الشاب لهبة الله:

- أنا أبوه، ولا أدري ماذا أفعل معه، إنه لا ينام، وإذا نام جالساً، وإذا مشى ورأسه مرفوع، وإذا جلس ظل رأسه منتصباً بين كتفيه، ويأكل



طَعَامَهُ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ يَنَامُ، دُونَ أَنْ يَسْقُطَ رَأْسُهُ  
عَلَى صَدْرِهِ، وَهُوَ جَالِسٌ، وَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ شُهُورٌ.

وَمَدَّ هَيْبَةُ اللَّهِ يَدَهُ نَحْوَ رَأْسِ الشَّابِّ الْمَوْهُومِ، فَفَزِعَ مِنْهُ، وَتَرَجَعَ إِلَى  
الْخَلْفِ، قَائِلًا:

- ابْتَعِدْ عَنِّي، ابْتَعِدْ عَنِّي، الدُّنُّ سَيَقَعُ. الدُّنُّ سَيَقَعُ.

### عِلَاجُ بِالِإِيحَاءِ

وَفَكَّرَ هَيْبَةُ اللَّهِ أَنَّ مَرِيضَتَهُ هَذَا لَنْ يَبْرَأَ مِنْ وَهْمِهِ إِلَّا بِوَهْمٍ مِثْلِهِ، أَكْبَرَ  
مِنْهُ. وَقَالَ لَوَالِدِ الشَّابِّ:

- سَاخِرْ قَلِيلًا إِلَى الْبُسْتَانِ. وَحِينَ أَدْعُوكَ وَمَنْ مَعَكَ، تَعَالَوْا، وَمَعَكَ  
ابْنُكَ هَذَا.

وَعَادَرَ هَيْبَةُ اللَّهِ الدَّارَ إِلَى الْبُسْتَانِ، وَدَعَا إِلَيْهِ بِخَادِمِيهِ، وَاتَّفَقَ مَعَهُمَا عَلَى  
أَمْرٍ. وَانْتَظَرَ قَلِيلًا حَتَّى نَفَّذَ كُلُّ مَنِهْمَا مَا طَلَبَهُ مِنْهُ. ثُمَّ أَشَارَ عَبْرَ النَّافِذَةِ إِلَى  
وَالِدِ الشَّابِّ وَمَنْ مَعَهُ، لِيَأْتُوا إِلَيْهِ، وَضَحِكَ هَيْبَةُ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، وَهُوَ يَرَى  
الشَّابَّ يَسِيرُ مَعَ أَبِيهِ وَمَنْ مَعَهُ، وَكَفَّاهُ بِجَانِبِي رَأْسِهِ، وَهُوَ يَرُدُّ:

- احذَرُوا، احذَرُوا، الدُّنُّ، الدُّنُّ، الدُّنُّ سَيَقَعُ.

وَحِينَ صَارُوا مَعَ هَيْبَةِ اللَّهِ فِي الْبُسْتَانِ، تَقَدَّمَ هَيْبَةُ اللَّهِ مِنَ الشَّابِّ وَقَالَ  
لَهُ، مُحَدِّثًا إِيَّاهُ، لِيَشْغَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ:

- أَيْنَ هَذَا الدُّنُّ؟ إِنِّي لَا أَرَاهُ.

فَقَالَ لَهُ الشَّابُّ سَاخِرًا:

- أَنَا فَقَطْ أَرَاهُ، أَحْسَنُ بِهِ فَوْقَ رَأْسِي، الْمَلَأْتُ وَضَعَهُ فَوْقَ رَأْسِي.

فَقَالَ لَهُ هَيْبَةُ اللَّهِ:

- وَمَاذَا لَوْ جَاءَ هَذَا الْمَلَأُ الْآنَ، وَأَرَاكَ مِنْ هَذَا الدُّنُّ.

وَقَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ الشَّابُّ بِحَرْفٍ، تَقَدَّمَ خَادِمٌ مِنَ الشَّابِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ هِرَاوَةً  
(عَصَا خَشَبِيَّةَ غَلِيظَةً)، وَطَوَّحَ بِهَا فَوْقَ رَأْسِ الشَّابِّ قَائِلًا:

- سَايِرِحُكَ مِنْ هَذَا الدُّنُّ.

وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا، سَقَطَ دَنْ خَرْفِيٍّ ضَخْمٌ مِنْ فَوْقِ دَارِ هَيْبَةِ اللَّهِ، دَفَعَ  
بِهِ خَادِمُهُ الْآخَرُ، فَسَقَطَ فِي الْبُسْتَانِ بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّابِّ، فِي جَلْبَةٍ  
(ضَجَّةٍ) عَظِيمَةٍ، وَتَكَسَّرَ قِطْعًا صَغِيرَةً، وَذَهَلَ الشَّابُّ مِمَّا حَدَثَ، وَقَبْلَ أَنْ  
يَصْرُخَ أَوْ يَبْكِي، قَالَ لَهُ هَيْبَةُ اللَّهِ:



- لَقَدْ جَاءَ الْمَلَائِكَةُ وَأَرَاكَ مِنْ هَذَا الدَّنِّ.

وعندئذٍ ضحك الشابُ مردداً:

- الحمدُ لله. الحمدُ لله. الآنَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُنَامَ.

وانصرفَ والدُ الشابِّ هو ومن معه، وهو يقولُ:

- ستعرفُ بغدادُ كلَّها اليومَ يا أبا البركات، أنَّ طبَّكَ أقوى من طبِّ كُلِّ

الأطباءِ في بغدادَ.

### لماذا؟

وحينَ بَلَغَ أَبُو الْبَرَكَاتِ هِبَةَ اللَّهِ مِنَ الْعُمَرِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، كَانَتْ شُهْرَتُهُ

كَطِيبٍ مُعَالِجٍ، قَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَ بَغْدَادَ، وَسَرَتْ هَذِهِ الشُّهُرَةُ إِلَى مَا حَوْلَ

الْعِرَاقِ، فِي بِلَادِ فَارِسَ وَالشَّامِ. وَصَارَ كُلُّ قَادِمٍ إِلَى بَغْدَادَ لِلْعِلَاجِ يَتَوَجَّهُ مِنْ

فَوْرِهِ إِلَى هِبَةَ اللَّهِ طَالِباً الشِّفَاءَ عَلَى يَدَيْهِ، فِي عِيَادَتِهِ بِالكَرْخِ، أَوْ فِي عِيَادَتِهِ

بِالرُّصَافَةِ أَوْ فِي الْبِيْمَارِسْتَانِ الْعَضُدِيِّ، إِنْ كَانَ مِنَ الْفُقَرَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ يَنَافِسُهُ

فِي شُهْرَتِهِ كَطِيبٍ مُعَالِجٍ سِوَى الطَّيِّبِ هِبَةَ اللَّهِ ابْنِ التَّلْمِيزِ، وَحِينَ التَّقَى

الطَّبَّيْبَانِ يَوْمًا فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ بَغْدَادَ، قَالَ ابْنُ التَّلْمِيزِ لِأَبِي الْبَرَكَاتِ:

- أَخْبِرْنِي لِمَ يَقْبَلُ النَّاسُ عَلَيْكَ لِلْعِلَاجِ أَكْثَرَ مِنِّي، وَأَنْتَ رَجُلٌ شَدِيدُ

الْكِبَرِيَاءِ، وَأَنَا رَجُلٌ شَدِيدُ التَّوَاضُّعِ؟

فَابْتَسَمَ هِبَةُ اللَّهِ، وَقَالَ لِابْنِ التَّلْمِيزِ:

- سَلِ النَّاسَ يَا صَدِيقِي، لِمَ؟ وَلَكِنْ إِذَا شِئْتَ ذَكَرْتُ لَكَ السَّبَبَ الْأَوَّلَ فِي

نَجَاحِي كَطِيبٍ مُعَالِجٍ، فِيمَا لَمْ تَتَجَحَّ أَنْتَ فِي عِلَاجِهِ.

وَسَكَتَ هِبَةُ اللَّهِ لَحْظَةً، ثُمَّ قَالَ مُبْتَسِمًا بِمُودَةٍ لِابْنِ التَّلْمِيزِ:

- لِأَنْتَ يَا صَدِيقِي مُشْتَغَلٌ مَعَ الطَّبِّ بِالْفَلَسَفَةِ، وَبِالْمَنْطِقِ، وَأَقْدَرُ

النُّتَاجَ فِي التَّشْخِصِ وَالْعِلَاجِ حَسَبَ الْمُقَدِّمَاتِ، وَأَرِيطُ الْمُسَبِّبَاتِ

بِالْأَسْبَابِ.

### قصة مدينة

كَانَتْ الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ، فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ، الثَّانِي عَشَرَ

الْمِيلَادِيِّ، لَا تَزَالُ خَاضِعَةً مُنْذُ وَلِدَ هِبَةُ اللَّهِ لِسَيْطَرَةِ الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ،

وَكَانَ السُّلْطَانُ السَّلْجُوقِيُّ مُحَمَّدٌ، قَدْ تَوَلَّى السُّلْطَنَةَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ

بَنِ مَلِكْشَاهِ الثَّانِي، وَفِي زِيَارَةِ السُّلْطَانِ السَّلْجُوقِيِّ مُحَمَّدٍ لِبَغْدَادَ، اخْتَارَ



هَذَا السُّلْطَانُ أَبَا الْبَرَكَاتِ هِبَةُ اللَّهِ بْنِ مَلْكَاءَ، لِيَكُونَ طَبِيبًا لَهُ وَلِجَيْشِهِ،  
لِيَصْحَبَهُ مَعَهُ حَيْثُمَا أَقَامَ فِي بَلَدٍ أَوْ غَزَا بَلَدًا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ هِبَةُ اللَّهِ أَنْ  
يَعْتَذِرَ لِهَذَا السُّلْطَانِ، فَهُوَ صَاحِبُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي دَوْلَةِ الْخُلَافَةِ، وَلَيْسَ  
لِلْخَلِيفَةِ مِنَ السُّلْطَةِ سِوَى اسْمِهَا، وَغَادَرَ هِبَةُ اللَّهِ بَغْدَادَ مَعَ السُّلْطَانِ، تَارِكًا  
بِهَا زَوْجَةً لَهُ، وَثَلَاثَ بَنَاتٍ، وَدَخَلَ مَعَهُ مَدِينَةُ «هَمْدَانَ». وَكَانَ بِهَا مَعْسَكُ  
عَظِيمٌ لِلْجَيْشِ.

كَانَتْ مَدِينَةُ هَمْدَانَ مَدِينَةً كُبْرَى، عَلَى سَفْحِ جَبَلٍ «الْفَنْد» غَرْبِيَّ إِيْرَانِ،  
وَكَانَ اسْمُهَا عِنْدَ الْأَشُورِيِّينَ هُوَ «هَجَمَاتَاتَا» وَعِنْدَ الْإِغْرِيْقِ هُوَ «أَكْبَاتَان»  
وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ قَاعِدَةً (عَاصِمَةً) مَمْلَكَةِ «مِيدِيَا» الْقَدِيمَةِ، فِي سَالِفِ  
الزَّمَانِ، وَكَانَتْ مِنْطَقَةُ «هَمْدَانَ» الْجَبَلِيَّةَ عَامِرَةً بِالْآثَارِ الْبَرْوَنْزِيَّةِ، الَّتِي  
تُنْسَبُ إِلَى مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ قُرُونٍ، وَقَالَ السُّلْطَانُ السَّلْجُوقِيُّ مُحَمَّدٌ  
لِهِبَةِ اللَّهِ، وَهُمَا يَجْتَازَانِ أَسْوَارَ هَمْدَانَ:

- هَذِهِ الْمَدِينَةُ هِيَ أَكْبَرُ مَدْنِ الْجِبَالِ، وَهِيَ مَدِينَةُ التُّجَارِ، وَالصِّيَارِفَةِ،  
وَالصَّاعَةِ، وَسَوْفَ تَرَى كَثْرَةَ مَا بِهَا مِنْ جَدَاوِلَ وَعُيُونٍ، وَقَدْ فَتَحَهَا الْعَرَبُ  
عُنُودَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ هَجْرِيَّةً، بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ، وَمِنْ قَبْلِ الْعَرَبِ فَتَحَهَا

الْمَلِكُ «بَخْتِصَر» (الْأَشُورِيُّ) ثُمَّ فَتَحَهَا مِنْ بَعْدِهِ الْمَلِكُ الْفَارَسِيُّ «دَارَا»  
وَعَمَرَهَا، وَشَيَّدَ حَوْلَهَا حِصْنًا مَنِيعًا، أَجْهَدَ الْعَرَبُ فِي فَتْحِهَا.

وَضَحَكَ السُّلْطَانُ، وَقَالَ لِهِبَةِ اللَّهِ:

- وَسَوْفَ يَطِيبُ لَكَ الْمَقَامُ بِهَا، مَعِيَ، يَا هِبَةُ اللَّهِ، وَلَا تَتَزَعْجَ لِمَا تَرَاهُ  
حَوْلَكَ الْآنَ مِنْ بَرْدٍ قَاسٍ، وَمَطَرٍ شَدِيدٍ، وَسُحْبٍ دَاكِنَةٍ (شَدِيدِ السَّوَادِ)،  
فَلَسَوْفَ يَأْتِي عَلَيْكَ بِهَا رَبِيعٌ جَمِيلٌ، وَتَقْضِي بِهَا صَيْفًا طَيِّبًا، وَتَرَى كَثْرَةَ  
مَا بِهَا مِنْ خَيْرَاتٍ فِي الْخَرِيفِ.

## دُحَاسُ الْأَصَابِعِ

كُلُّ صَبَاحٍ فِي هَمْدَانَ، كَانَ هِبَةُ اللَّهِ يَذْهَبُ بِصَحْبَةِ حَارِسَيْنِ مِنْ حِرَاسِ  
السُّلْطَانِ، إِلَى مَعْسَكِ الْجَيْشِ، لِيُعَالِجَ فِي خِيْمَةٍ طَبِيبَةً بِهَا مَنْ يَكُونُ مَرِيضًا  
مِنْ جُنْدِ الْجَيْشِ، وَبِصَحْبَتِهِ عَدَدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ، اخْتَارُوا صَحْبَتَهُ فِي إِقَامَتِهِ  
مَعَ السُّلْطَانِ.

وَذَاتَ نَهَارٍ، كَانَ هِبَةُ اللَّهِ جَالِسًا بِالْخِيْمَةِ، مَعَ عَدَدٍ آخَرَ مِنْ أَطْبَاءِ  
الْجَيْشِ وَبَيْنَهُمْ مَوْقِدٌ تَتَوَهَّجُ بِهِ جَمْرَاتٌ فَحَمَ حَجَرِيٌّ، يَصْعَدُ دَخَانُهَا فِي



- إذا لم يُبترَ ما تورَّم، سرى الورم في الكف، والذراع كله، ويموتُ  
محموماً.

وكوى هبة الله موضع البتر، وسكب عليه سائلاً يجعل أثر البتر يثقلص  
على نفسه، ويلتئم بسرعة. لكن الأطباء شكوا للسلطان هبة الله، وقالوا له:  
يدُ الجندي لن تكون صالحة للقبض على سيف أو رمح، وهبة الله قد جاز  
في العلاج، فقال لهم هبة الله أمام السلطان:

- افعلوا إذن مع الجنود ما تشاءون. فقد انتشرت الإصابة بدحاس  
الأصابع بين الجنود. وقد أمرت بسكب الكحول على أي أصبع يصاب  
بوخزة أو جرح، قبل أن يتورَّم موضع الوخز.

وراح الأطباء يعالجون في الخيمة الطبية كل من دوحس إصبغه وتورَّم،  
بالدواء، وراح هؤلاء المرضى يموتون من سريان الورم، والحمى، مريضاً  
بعد مريض. وعندئذ قال السلطان للأطباء:

- الأمر كله من الآن لهبة الله. وعليكم أن تعاونوه، وأن تفتدوا ما يطلبه  
منكم. فهو أدري بالطب من أي طبيب.



أنبوبٍ يخترق سقف الخيمة. وأدخل الحراس إلى الخيمة جندياً تورَّم  
إصبغه من داحس (ورم) أصاب بنان الإصبع، ورأى هبة الله الورم وقد  
تسرّب من بنان الإصبع إلى سلاميته (العظمة الوسطى بالإصبع) ورأى  
الصديد يسيل من جرح البنان. وفي الحال، أعد هبة الله المخدر، وسكبه  
على الإصبع، وانتظر حتى سرى فيه الخدر، وبتر عقتي الإصبع  
الأماميتين، رغم اعتراض الأطباء، قائلاً:



## آمنت بالإسلام

وذات ليلة، كان السلطان السلجوقي جالساً في قاعة عرشه بهمدان، وحوله كان الوزراء، وقادة الجيش، وأعيان همدان، وأقبل على القاعة هبة الله، رافعاً رأسه كعادته بكبرياء، وثقة بنفسه وبعلمه، فهب كل الجالسين وقوفاً تحيةً لقُدومه، عدداً قاضي القضاة. وشعر هبة الله بالحرَج، فقاضي القضاة لم يقف له مع الواقفين، لأنه ذميٌّ من أهل الكتاب، فتوجه هبة الله في الحال بالخطاب إلى السلطان، قال:

- إن كان القاضي لم يوافق الجماعة، لكونه يرى أنني على غير ملته، فأنا أسلم بين يدي مولانا، ولا أترك قاضي الجماعة، ينتقصني لعدم إسلامي.

عندئذ كبر الحاضرون، وكان قاضي القضاة أول من صافح هبة الله مهنتاً إياه بإسلامه، وعانقه. وفي هذه الليلة أجلسه السلطان إلى جانبه اعتزازاً بدخول عالم مثله في الإسلام، وقال السلطان لكل الجالسين:

- غداً سنرحل معاً إلى بلاد الجبل، لنواصل بجيوشنا تحرير البلاد.

والتفت السلطان إلى هبة الله، وقال له:

- وسنصحبك معنا يا هبة الله، فسأكون أنا والجيش بحاجة إليك.

## أحزان بلا دموع

كان السلطان يصحب معه زوجته، وكانت تشكو من قبل من صداع يتردد عليها بين حين وآخر. وفي بلاد الجبل (شرقي تركيا الآن) عصف الصداع برأس زوجة السلطان، وفشل طبيب الحريم الخاص في علاجها، فأمر السلطان هبة الله أن يباشر العلاج بنفسه، وفحص هبة الله زوجة السلطان فحصاً دقيقاً، محدقاً في ملتحة العينين، وراء الجفنين، وفي حلقها وفمها، وتأمل في عينا من دمه وبولها، وأدرك أن زوجة السلطان لن تعيش طويلاً، فقد أصيبت بورم خبيث في مخها، راح ينمو، ويأكل ما به من خلايا. وأوشك هبة الله أن يصارح السلطان بئاسه من علاجها، لكنه خشي ثورة السلطان وغضبه، فهو متعلق تعلقاً شديداً بهذه الزوجة، ولا يطيق لها فراقاً في إقامة أو سفر.



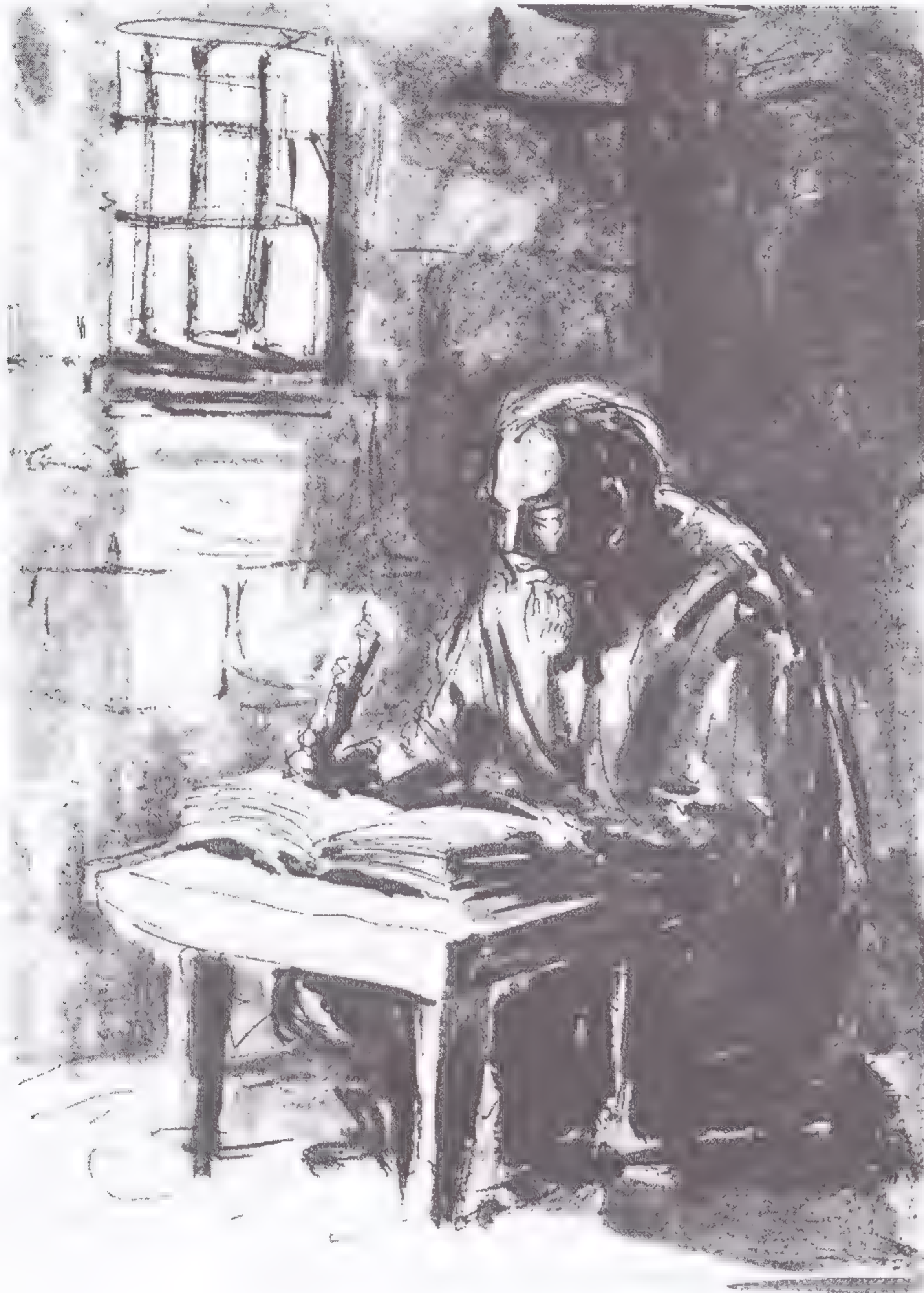
وَاسْتَيْقَظَ هِبَةُ اللَّهِ ذَاتَ صَبَاحٍ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى مَقْعَدٍ خَارِجٍ بَابِهَا،  
يَغَالِبُ السَّهْرَ وَالنَّوْمَ مَعًا. أَيْقَظَتْهُ أَصْوَاتُ النَّائِحَاتِ لَوْفَةِ زَوْجَةِ  
السُّلْطَانِ.

وَجَزَعَ السُّلْطَانُ عَلَى زَوْجَتِهِ جَزْعًا شَدِيدًا، وَعَجَزَ عَنِ الْبُكَاءِ، وَحِينَ  
رَأَى هِبَةَ اللَّهِ ذَلِكَ الْجَزَعَ عَلَى وَجْهِ السُّلْطَانِ، خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْقَتْلِ،  
وَفُوجِيَءَ بِالسُّلْطَانِ يَقُولُ لِكَبِيرِ حُرَّاسِهِ مُشِيرًا إِلَى هِبَةَ اللَّهِ:

- خُذْهُ الْآنَ مِنْ أَمَامِي، وَضَعْهُ فِي السِّجْنِ، حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ.

وَوُضِعَ هِبَةُ اللَّهِ فِي سِجْنِ الْمَعْسُكِرِ بِيَلَادِ الْجَبَلِ، ثُمَّ أُخِذَ مَعَ عَوْدَةِ  
الْجَيْشِ إِلَى هَمْدَانَ، وَسُجِّنَ بِسِجْنِ هَمْدَانَ، مَعَ أَصِحَاءَ، وَمَعَ مَرْضَى  
بَشَتَّى الْأَمْرَاضِ، وَبَيْنَهُمْ كَانَ مَرْضَى مُصَابُونَ بِالْجُذَامِ الدَّرَنِيِّ، وَبِالْجُذَامِ  
الْعَصَبِيِّ الَّذِي يَنْتَشِرُ بِالْجِسْمِ فِي بُقْعٍ بَيَضاءَ.

وَشَغَلَ هِبَةَ اللَّهِ نَفْسَهُ وَهُوَ بِالسِّجْنِ فِي مُعَالَجَةِ الْمَرْضَى نَهَارًا، وَفِي  
الْقِرَاءَةِ لَيْلًا، وَقَدْ اطمأنَّ قَلْبُهُ لِحَسَنِ مُعَامَلَةِ الْقِيَمِ (المُشْرِفِ) عَلَى السِّجْنِ  
لَهُ، بِمَدَّةٍ بِمَا يَحْتَاجُهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَالْأَدْوِيَةِ، وَالْأَقْلَامِ، وَالْأَحْبَارِ. وَعَلَى ضَوْءِ





شَمْعَةٌ فِي لَيَالِي السَّجْنِ وَضَعَ هِبَةُ اللَّهِ كِتَابًا عَنِ الْأَقْرِيَّادِينَ (عِلْمُ الْأَدْوِيَةِ)،  
وَكِتَابًا مُخْتَصَرًا فِي التَّشْرِيحِ عَنِ تَشْرِيحِ جَالِينُوسَ، وَأَرْسَلَ الْكِتَابَيْنِ مِنْ  
سِجْنِهِ هَدِيَّةً إِلَى السُّلْطَانِ.

## عَفْوُ السُّلْطَانِ

ظَلَّ هِبَةُ اللَّهِ بِالسَّجْنِ قُرَابَةً عَامٍ، وَقَدْ وَضَعَ فِي ذَهْنِهِ أَنَّ ابْنَ سَيْنَا أَلْفَ  
مُعْظَمَ كُتُبِهِ وَهُوَ فِي السَّجْنِ، فَاتَّخَذَ مِنْهُ قُدْوَةً لَهُ. وَوَضَعَ رِسَالَةً عَنِ «الْعَقْلِ  
وَمَا هَيْتِهِ» وَحِينَئِذٍ أَتَمَّهُ، صَدَرَ أَمْرُ السُّلْطَانِ بِالْإِفْرَاجِ عَنْهُ. وَأَخَذَ هِبَةُ اللَّهِ  
لِمُقَابَلَةِ السُّلْطَانِ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ:

- يَا هِبَةُ اللَّهِ، أَسَأْنَا إِلَيْكَ يَا أَبَا الْبَرَكَاتِ، وَنَسِينَاكَ فِي سِجْنِكَ، وَلَا  
أَظُنُّكَ سَتَنْتَسِي مَا كَانَ مِنْهُ مَعَكَ. فَاعْفُ عَنَّا، وَعُدْ سَالِمًا إِلَى بَغْدَادِ.

فَقَالَ هِبَةُ اللَّهِ لِلْسُّلْطَانِ:

- جَاءَ سَجْنِي لِي خَيْرًا وَبِرَكَّةٍ لِلْعِلْمِ يَا مَوْلَايَ. فَلَا تَأْسَ (تَحْزَنْ) لِمَا  
أَصَابَنِي.

## لَا مَكَانَ لَكَ بَيْنَنَا

عَادَ هِبَةُ اللَّهِ إِلَى بَغْدَادَ، وَتَوَجَّهَ بِقَافِلَتِهِ الصَّغِيرَةِ، مُحْمَلَةً بِالْهَدَايَا إِلَى  
دَارِهِ بِالكَرْخِ، لَكِنَّ امْرَأَتَهُ لَمْ تَسْمَحْ لَهُ بِعُبُورِ بَابِ بَيْتِهِ، لَا هِيَ وَلَا بَنَاتُهُ  
الثَّلَاثُ، لِأَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ. وَفُوجِيَءَ هِبَةُ اللَّهِ بِبَنَاتِهِ الثَّلَاثِ يَقُلْنَ لَهُ: «لَا مَكَانَ  
لَكَ بَيْنَنَا»، وَأَغْلَقَتْ امْرَأَتُهُ فِي وَجْهِهِ الْبَابَ، فَقَالَ هِبَةُ اللَّهِ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ  
يَبْتَسِمُ بِمَرَارَةٍ: «يَهْدِيهِنَّ اللَّهُ إِذَا شَاءَ».

وَتَوَجَّهَ هِبَةُ اللَّهِ بِقَافِلَتِهِ الصَّغِيرَةِ إِلَى دَارِهِ الْأُخْرَى بِحَيِّ الرُّصَافَةِ، وَفَتَحَ  
أَبْوَابَهَا لِلْمَرْضَى. وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مُسْلِمَةً مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ. وَكَانَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ قَدْ وَدَّعَا  
الدُّنْيَا. وَرَاحَ هِبَةُ اللَّهِ يَتَوَدَّدُ إِلَى إِخْوَتِهِ، لَكِنَّهُمْ رَفَضُوا مَوَدَّتَهُ، لِأَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ.

وَاسْتَسَلَّمَ هِبَةُ اللَّهِ لِحَيَاتِهِ الْجَدِيدَةِ فِي بَغْدَادَ، سَنِينَ اثْنَتَيْنِ، يُعَالِجُ  
الْمَرْضَى مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَبَيْنَ حِينَ وَآخَرَ، كَانَ يُدْعَى إِلَى خَارِجِ  
بَغْدَادَ، لِإِعْلَاجِ الْأُمَرَاءِ وَالْمُلُوكِ فِي الدُّوَيَّاتِ الْمُتَنَازِعَةِ، مِنَ السَّلْجُوقِيِّينَ،  
وَالزَّنْكِيِّينَ، وَيَعُودُ إِلَى بَغْدَادَ مُحْمَلًا بِالْهَدَايَا وَالْأَمْوَالِ.



وفي هذه السنين، صار هبة الله بين خواص أطباء الخلفاء العباسيين:  
المسترشد بالله، ثم الراشد بالله، ثم المستجد بالله. وكتب مقالة بعنوان:  
ظهور الكواكب ليلاً واختفائها نهاراً، ومقالة عن دواء استحدثته بعنوان:  
«برشعنا» وكتاباً بعنوان: «أمين الأرواح في المعاجين».

## رهبين المحبسين

وفي بغداد، راح هبة الله يفقد بصره، تدريجياً، وفشل في علاج نفسه،  
وفشل معه في علاجه كل أطباء العيون، في بيمارستانات بغداد، وأطباء  
العيون الزائرون لبغداد، القادمون من بلاد فارس والشام، فقد راح عصبه  
البصري يضمر، ويضعف، حتى جاء يوم فقد فيه هبة الله قدرة الإبصار،  
وفقد معه الإحساس بالضوء من حوله. ولاذ «هبة الله» بالتأمل في بستان  
داره، في دفء الشمس شتاءً، وظل الشجر صيفاً، ويستقبل في الليل  
الأصدقاء والتلاميذ والعلماء، الذين يزورونه للسمر. وبين صفوة تلاميذه  
كان: جمال الدين بن فضلان، وابن الدهان المنجم، ويوسف البغدادي،  
وعلي المهدب ابن النقاش.

وصار هبة الله رهبين المحبسين: الدار، والعمى، كما يقول أبو العلاء.  
وكان قد بلغ الخامسة والسبعين من عمره، حين تولى المستجد بالله  
الخلافة، ودهش هبة الله حين اختاره هذا الخليفة ليكون كبير أطبائه،  
يسأله أطباء قصر الخلافة، ويستشيرونه في علاج الخليفة إذا مرض،  
وعلاج أهل قصره من الرجال، والنساء، والأطفال.

## حلم الختام

وفي عزلة هبة الله، راح هبة الله يفكر في أنه لم يترك للدنيا كتباً  
تذكر، يخلد بها ذكره بين الأجيال، واجتاحه القلق لأن ما حصله عقله من  
معارف سوف يموت معه، ويفنى بفنائيه.  
وقرر هبة الله ذات صباح أن يؤلف كتاباً يمليه على تلاميذه، يضاهاه  
به كتب لأرسطو، وابن سينا، يجمع فيه ما يعتقد أنه حقائق، في المنطق،  
والطبيعات، والرياضيات، ويؤيد فيه ما يقوله بالدليل والبرهان، وأرسل  
هبة الله في ذلك الصباح، بمن يدعو إليه تلاميذه الأربعة المخلصين،  
ليلتقوا به في قاعة مكتبته الضخمة، بعد صلاة العشاء.



وفي الليل، راح هبة الله يحدث تلاميذه عن حلمه الكبير، حلم الختام، فتعهدوا له بالتأوب في القُدوم إليه كل ليلة، لكي يكتبوا له ما يمليه عليهم، ويقتبسوا لكتابه ما يطلبه من فقرات بكتب مكتبته.

وفي الليلة التالية بدأ هبة الله في إملاء مقدمة كتابه مُحددًا منهجه في عرض أبواب وفصول أقسام كتابه: المنطق، والطبيعيات، والإلهيات، وفي مناقشة آراء السابقين، وتحليلها، والبرهنة على ما يسوقه من تعليقات وآراء.

## فصل الخلود

وحين مرّت ثلاثة أعوام، كان هبة الله قد أنجز حلمه الكبير، فقد أَمَلَى كُلَّ أجزاء كتابه الثلاثة، وكان عدد ما وردَ بها من فصول مائة واثنين وثمانين فصلاً، جمعَ فيها ابنُ ملكا آراء السابقين من الإغريق، والمُسلمين، في قضايا عصره، في المنطق، والطبيعيات، والإلهيات، وآراءه هو في كل ما قيل من قبله، وفي قضايا أخرى أثارها في كتابه، خاصة في قسم الطبيعيات.

وبيّن فصول هذا الكتاب، كانت فصول خاصة في قسم الطبيعيات في علم الحركة. وقدرَ لما أملاه هبة الله في هذا العلم، وهو الآن أحد فروع علم الهندسة الميكانيكية، أن يكون هبة الله به من علماء العرب الخالدين، في كل العصور والبلدان. فقد جاوز هبة الله بما أملاه في هذا العلم، كل ما قاله من قبله في علم الحركة.

## تاريخ علم

قَبْلَ العرب والمُسلمين، كان الفيلسوف الإغريقي «أرسطا طاليس» قد تحدّث عن مبادئ طبيعِيّة ستة، في كتابه «السَّماع الطبيعي»: المكان والخلاء، واللّانهاية والزّمان، والحركة والمحرك، وبعده تحدّث العالم العربي «ابن الهيثم» في كتابه «المناظر» عن المكان والخلاء، والزّمان والحركة، وعن أنواع الحركة الطبيعيّة والقسريّة، وعن سرعة الحركة الرّأسيّة والأفقّة، وعن قوّة (كمية) الحركة. ومن بعده، تحدّث «ابن سينا» في كتابه «الإشارات والتّشبيهات» عن مسائل علم الحركة، كما تحدّث عنها في رسائلهم العلميّة جماعة «إخوان الصّفا» في قسم الطبيعيات، وكان أخطر ما تحدّث فيه



العلماء العرب بعد أرسطو، هو وضعهم لقوانين الحركة، التي نسبت بعد خمسمائة عام إلى العالم الرياضي الشهير «اسحق نيوتن»، والتي نشرها «نيوتن» في كتابه «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية».

## قوانين الحركة

يقول قانون «نيوتن» الأول: «إن الجسم يبقى في حالة سكون، أو في حالة حركة منتظمة، في خط مستقيم، ما لم تجبره قوة خارجية عنه، على تغيير حالته من سكون أو حركة».

ويقول القانون الثاني: «القوة اللازمة للحركة تتناسب مع كل من كتلة الجسم وتسارعه».

ويقول القانون الثالث: «لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار، ومضاد له في الاتجاه».

ولم تكن هذه القوانين الثلاثة سوى إعادة صياغة، بطريقة رياضية، لما تحدث فيه ابن الهيثم، وابن سينا، وإخوان الصفا، وهبة الله بن ملكا، ولما شرحه من بعدهم: فخر الدين الرازي، ونصير الدين الطوسي، في

شرحيهما لكتاب «الإشارات والتنبهات» لابن سينا.

فمن قبل نيوتن اهتدى ابن سينا إلى القانون الأول للحركة، وقال به من بعده، وقبل «نيوتن»، العالم الفنان: «ليوناردو دافنشي»، والعالم الرياضي الفلكي: «جاليليو».

ومن قبل نيوتن، توصل «هبة الله بن ملكا» إلى القانون الثاني من قوانين الحركة، حين قال: «كل حركة هي في زمان لا محالة، وكلما اشتدت قوة الحركة، كلما ازدادت السرعة، وقصر زمن هذه السرعة»، كما توصل إلى القانون الثالث للحركة، حين قال: «إن الحلقة المتجاذبة بين متجاذبين لها، لكل منهما قوة مقاومة لقوة الآخر، وكل من القوتين موجودتان في جذب المتجاذبين».

وكل الفرق في الحديث عن قوانين الحركة الثلاثة، أن نيوتن العالم الرياضي صاغ هذه القوانين صياغة رياضية، على حين صاغها العرب صياغة فلسفية.



## الممكن والمستحيل

وفي كتاب هبة الله «المعتبر في الحكمة»، تحدث هبة الله عن الحركة الطبيعية، في سقوط الأجسام من أعلى إلى أسفل، بتأثير الجاذبية الأرضية، وعن الحركة القسرية للأجسام، من أسفل إلى أعلى، أو من جهة أفقية إلى جهة أفقية أخرى، بتأثير محرك لها. وتحدث عن التساقط الحر للأجسام، على أقصر طريق مستقيم، وعن أن الجسم الساقط سقوطاً حراً، تزيد سرعته، وقوة (كمية) حركته مع مسافة السقوط. وعن أن سرعة السقوط واحدة، لا تتأثر بثقل الأجسام وخفتها، فقوة الجذب الأرضي لها واحدة، لكن مقاومة وسط السقوط، مثل الهواء، هي التي تعوق سرعة الحركة. وعن أن الشكل الهندسي للجسم المتحرك الساقط، من استدارة أو استواء، أو مخروطية، له أثره في سقوط الجسم، سرعة أو بطئاً. وعن أن الحركة لو حدثت في خلاء لا مقاومة فيه، لتزايدت سرعتها أضعافاً، فلا مقاومة تعوق سرعتها. وعن أن الحركة تزيد بقوة الدفع للجسم، وتقل بضعف هذا الدفع.

وقبل العالم الإيطالي «ليوناردو دافنشي»، تحدث «هبة الله ابن ملكا» عن استحالة الحركة الطبيعية، لأي جسم، حركة دائمة، من تلقاء ذاته، وبلا نهاية، أو دون توقف، وهي الحركة التي كان يحلم بها العلماء والفلاسفة من قديم الزمان.

## حنين... ووصية

في القرن السادس الهجري، طار صيت «هبة الله» بكتابه «المعتبر في الحكمة» مثلاً طار صيته من قبل كطبيب معالج، حتى لقبه العلماء وطلاب العلم في بغداد، بلقب ملكي، هو «أوحد الزمان». وكان هبة الله في ذلك الحين يصاب بأمراض مزمنة، متلاحقة. فقد كل سمعه، وأصيب بالبرص، وبجذام عصبي كان كامناً في جسمه من أيام سجنه في همدان. لكن هبة الله لم يتسرب اليأس إلى روحه، فقد ظل صاحي العقل، يطلب ما يحتاجه من دواء أو طعام أو شراب بكلمات لسانه.

وفي عامه الأخير، وكان قد ناهز الثمانين، تاقّت نفسه إلى صيف همدان ونسيم الجبال في همدان، وكأنه شاء لأن يوافيه الأجل، وهو



بِهَمْدَان، مِثْلَمَا وَافَى الْأَجَلَ قَبْلَهُ ابْنُ سَيْنَا فِي هَمْدَان، وَحَمَلَهُ تَلَامِيذُهُ فِي  
هُودَجٍ مُرِيحٍ عَلَى ظَهْرِ جَمَلٍ إِلَى هَمْدَان.

وَحِينَ اقْتَرَبَ الْأَجَلُ، طَلَبَ هِبَةُ اللَّهِ أَوْراقًا، وَقَلَمًا، وَراحَ يَكْتُبُ، دُونَ أَنْ  
يَرَى مَا يَكْتُبُهُ، رِسَالَةً إِلَى صَدِيقِهِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْمُسْتَجِدِّ بِاللَّهِ،  
يُنَاشِدُهُ فِيهَا أَنْ يَفْرِضَ عَطَاءً سَنَوِيًّا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ لِبَنَاتِهِ الثَّلَاثَةِ، فَكُلُّ  
ثَرَوَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ لَنْ يَرْتَنَ فِيهَا دِرْهَمًا، لِأَنَّهُنَّ غَيْرُ مُسْلِمَاتٍ، وَسُتُرَدُّ إِلَى بَيْتِ  
الْمَالِ. ثُمَّ كَتَبَ هِبَةُ اللَّهِ بِيَدٍ مُرْتَجِفَةٍ كَلِمَاتٍ مُتَنَازِرَةً، عَلَى وَرَقَةٍ أُخْرَى،  
لِيَنْقُشَهَا تَلَامِيذُهُ عَلَى شَاهِدِ قَبْرِهِ، حِينَ يُوَارَى الثَّرَى.



وَدَّعَ هِبَةُ اللَّهِ ذَاتَ صَبَاحٍ، دُنْيَا النَّاسِ، وَحِينَ بَلَغَ الْخَبَرُ الْخَلِيفَةَ الْمُسْتَجِدَّ  
بِاللَّهِ، أَمَرَ بِإِعَادَةِ جَثْمَانِ هِبَةَ اللَّهِ إِلَى بَغْدَادَ، لِيُوَارَى الثَّرَى فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ  
بِبَغْدَادَ، وَفَرَضَ عَطَاءً سَنَوِيًّا جَزِيلًا لِبَنَاتِ هِبَةَ اللَّهِ الثَّلَاثَةِ. وَجَاءَ نَقَاشُ مَا هَرُّ  
نَقَشَ عَلَى شَاهِدِ قَبْرِ هِبَةَ اللَّهِ مَا أَرَادَ هُوَ أَنْ يُنْقَشَ عَلَيْهِ مِنْ كَلِمَاتٍ: «هَذَا قَبْرُ  
أَوْحَدِ الزَّمَانِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ذِي الْعَبْرِ، صَاحِبِ الْمُعْتَبَرِ».



وُلِدَ «هِبَةُ اللَّهِ بْنُ مَلَكَا الْبَغْدَادِيِّ» سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَثَمَانِينَ هَجْرِيَّةً، أَلْفٍ  
وَسَبْعٍ وَثَمَانِينَ مِيلَادِيَّةً، وَوَدَّعَ الدُّنْيَا سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَسِتِّينَ هَجْرِيَّةً، أَلْفٍ  
وَمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَسِتِّينَ مِيلَادِيَّةً.

وَعَبَّرَ الْقُرُونِ، أَرَخَ كُتَّابُ الْمَوْسُوعَاتِ الْعَرَبِ، لِحَيَاةِ أَوْحَدِ الزَّمَانِ. كَتَبَ  
عَنْهُ الصَّفَّادِيُّ فِي «الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ»، وَالذَّهَبِيُّ فِي «سِيرِ النُّبَلَاءِ»، وَابْنُ  
أَبِي أَصِيبَةَ فِي «تَارِيخِ الْحُكَمَاءِ» وَحَاجِي خَلِيفَةَ فِي «كَشَفِ الظُّنُونِ»،  
وَالزَّرْكَلِيُّ فِي «الْأَعْلَامِ»، وَالْبَغْدَادِيُّ فِي «هَدِيَةِ الْعَارِفِينَ»، وَعَمَرُ رَضَا  
كَحَّالَةٌ فِي «مُعْجَمِ الْمُؤَلِّفِينَ».

وَكَتَبَ عَنْهُ أَكْثَرُ مُؤَرِّخِي الْحَوَالِيَّاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِي مَقَدِّمَتِهِمْ  
ابْنُ الْعَبْرِيِّ فِي كِتَابِهِ «تَارِيخُ مُخْتَصَرِ الدُّوَلِ».

وَفِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ كَتَبَ عَنْهُ «جَلال شوقي» فِي كِتَابِهِ «تُرَاثُ الْعَرَبِ  
فِي الْمِيكَانِيكَا» وَالِدَّفَاعُ فِي كِتَابِهِ «أَعْلَامُ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي الطَّبِّ»،  
وَكَتَبَ مُحَمَّدُ عَلِي أَبُو رِيَّانٍ فَصْلًا ضَافِيًّا، عَنْ حَيَاةِ أَوْحَدِ الزَّمَانِ، وَآرَائِهِ  
الْفَلَسَفِيَّةِ، وَنَقَدَهُ لَابْنُ سَيْنَا، فِي قِسْمِ الْإِلَهِيَّاتِ، فِي كِتَابِهِ «تَارِيخُ الْفِكْرِ  
الْفَلَسَفِيِّ فِي الْإِسْلَامِ».





وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ كِتَابَ أَوْحَدِ الزَّمَانِ «المعتبر في الحكمة»، لَمْ يُطْبَعَ  
حِينَ طُبِعَ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلأَوَّلَ مَرَّةٍ، إِلَّا فِي عَامِ 1937، فِي مَطْبَعَةِ «الدَّكْنِ»  
بِمَدِينَةِ حِيدَرِ آبَادٍ، بِالْهِنْدِ، وَالْأَكْثَرُ عَجَبًا أَنَّ الْأَبَ الْحَقِيقِيَّ لِعِلْمِ الْحَرَكَةِ،  
وَقَوَانِينِ الْحَرَكَةِ، مِنْ بَعْدِ ابْنِ سَيْنَا، وَإِخْوَانِ الصِّفَا، ظَلَّ مَجْهُولًا، وَقَدْ أَحْيَا  
بِفِكْرِهِ فِي عَصْرِهِ بِالْمَشْرِقِ فِي كِتَابِهِ الْمُعْتَبَرِ، رُوحَ التَّثْوِيرِ، الَّتِي أَحْيَاهَا ابْنُ  
رَشْدٍ فِي عَصْرِهِ بِالْمَغْرِبِ. وَكَانَ حَرِيًّا (جَدِيرًا) بِالْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَنْ  
تَحْتَفِلَ بِذِكْرَى مَوْلِدِ «أَوْحَدِ الزَّمَانِ» قَبْلَ ثَلَاثَةِ عَشَرَ عَامًا، إِحْيَاءً لَذِكْرَى  
مُرُورِ تِسْعِمِائَةِ عَامٍ عَلَى مَوْلِدِ «أَوْحَدِ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ مَلَكَا  
الْبَغْدَادِيَّ».





## ابن ملكا

ابن ملكا طبيب عربي وفيلسوف وعالم عاش في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي. ذاعت شهرته كطبيب معالج في زمانه، وأملى - بعد أن فقد بصره - كتابه الموسوعي الخالد المعتبر في الحكمة . واكتشف في كتابه قوانين علم الحركة الثلاثة، قبل: دافنشي، وجاليليو، واسحق نيوتن، ووضع معها أسس علم الحركة وأنواعها. إنها قصة تثير الفخر، يقرأها الصغار والكبار.

### صدر من هذه السلسلة:

- |                 |                |                     |
|-----------------|----------------|---------------------|
| 1- ابن النفيس   | 13- ابن ماجد   | 25- ابن الرزاز      |
| 2- ابن الهيثم   | 14- القزويني   | 26- تقي الدين       |
| 3- البيروني     | 15- ابن يونس   | 27- الرازي          |
| 4- جابر بن حيان | 16- الخازن     | 28- الكندي          |
| 5- ابن البيطار  | 17- الجاحظ     | 29- الخليل          |
| 6- ابن بطوطة    | 18- ابن خلدون  | 30- ابن حمزة        |
| 7- ابن سينا     | 19- الزهراوي   | 31- الزرنوجي        |
| 8- الفارابي     | 20- الأنطاكي   | 32- يوحنا بن ماسوية |
| 9- الخوارزمي    | 21- ابن العوام | 33- ياقوت الحموي    |
| 10- الإدريسي    | 22- الطوسي     | 34- ثابت بن قرة     |
| 11- الدميري     | 23- الكاشي     | 35- ابن ملكا        |
| 12- ابن رشد     | 24- الوزان     | 36- ابن الشاطر      |



445

© Editions Anep  
ISBN: 9947-21-279-3  
Dépôt légal: 1699-2006